

زمكانية العنف في رواية العشق المقدس لـ:

الروائي عز الدين جلاوي.

The potential for violence in the Rights of the People's Rights:
The Rights of the United Nations...

أ. حدة لعديلي ♦

تاريخ الاستلام: 09 - 01 - 2020 تاريخ القبول: 20 - 01 - 2020

ملخص: شكّل العنف هاجسا محوريا عند العديد من الروائيين الجزائريين، فنجدّه حاضرا بشكل ملفت للنظر في الكثير من الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة كالشمعة والدهاليز" للطاهر وطّار، "قتاوى زمن الموت" لابراهيم سعدي، "الانزلاق لحמיד عبد القادر"، وهي روايات قاربت العنف من زوايا مختلفة، وتمثّل رواية "العشق المقدس لعز الدين جلاوي واحدة من الأعمال التي اقتربت من العنف بطريقة خاصة، ومن رؤية أدبية وسياسية متميَّزة.

تهدف الدراسة إلى تحديد مفهوم العنف من خلال تجلياته في النص الروائي الجزائري المعاصر، وكيف ارتبط العنف - في علاقة جدلية - بثنائية "عنصري الزمكان" في صناعة الحدث؟

-الكلمات المفتاحية: الرواية، العنف، عز الدين جلاوي، الزمكان.

Summary: Violence has been a central concern of many Algerian novelists. We find it strikingly present in many contemporary Algerian works such as "the Candle and the Corridors" by Tahar Wattar, "Advisory Opinions of Death Time" by Ibrahim Saadi, and "The Slip" of Hamid Abdel Kader,"

♦ جامعة علي لونيسي البلدية 02، البريد الإلكتروني: haddaladli1234@gmail.com

(المؤلف المرسل)

which are novels that approach violence from different angles. "The Sacred Love " a novel of Azzeddine Gallagi is one of the works that approached violence in a special way, and from a distinct literary and political vision.

The study aims to define the concept of violence through its manifestations in the contemporary Algerian narrative text, and how has violence - in a dialectical relationship - been related to the dualism of "elemental space-time" in the event's creation?

Key words: novel, violence Izz al-Din Gallaji, spacetime.

1. المقدمة: تحفل رواية "العشق المقدس" بالأحداث في سياقها التاريخي الذي استدعاه الروائي؛ لتحقيق نوع من التوازن النفسي بين نزيف المرحلة التاريخية وعنفها وبين اللحظة الراهنة، من خلال علاقة حب بين الحبيبة "هبة" والعاشق "عمار"، إذ يشكل الحب بينهما أيقونة وجدانية تختزل حلما قادمًا بالتطهر من رجس فتنة السياسة ورعب الفكر الموروث، وغياب منظومة القيم، كما تساعد علاقة الحب المتخيلة في تفكيك شفرة عنوان الرواية، الذي يشكل نسيجه اللغوي القائم على أسلوب النحت اللغوي علامة سيميائية تتسع لمضمون الرواية كلها، فكلمة "المقدس" هي نحت من كلمتي "المقدس والمدنس"، أما المقدس فهو الحب والمدنس هو المقابل؛ يعني العنف. واللافت أن علاقة الحب في الرواية تواجه تحديات جمة، وأعداء يحاربون هذين العاشقين ويلحقانها، فانحراف فطرة الإنسان عن المنهج الإلهي أدى إلى مواجهة علاقة هبة مع العاشق بالكراهية والسجن والتهديد بالقتل...، كما يستدعي الروائي من الموروث السردى، مغامرات "السندباد" التي حفلت بها حكايات ألف ليلة وليلة ويتخذها إطارا لمغامرات هبة والعاشق، وقد يُسأل عن الغاية من استحضار شخصية "السندباد" في سياق علاقة الحب بين "هبة" و"العاشق"، هل الغاية مقصورة على المتعة والتشويق والإثارة في فضاء فانتازيا الأحداث العنيفة؟ أم أن الغاية هي مجرد تصوير لا أكثر. من المرجح أن الأحداث المشحونة بالتوتر والاضطراب التي عصفت بالعاشقين تقارب السياق السردى لحكايات السندباد، وكأن التحديات والمخاطر التي تعرض لها العاشقان بسبب وطأة الثقافة الدينية الموروثة، وانتشار المعتقدات التي تخلو من أصول العقيدة تقارب الأحداث التي واجهت السندباد في

مغامراته ورحلاته؛ فهي رحلات خارجة عن المؤلف، والغاية من الاستدعاء هي تقرير حقيقة أن معطيات الواقع الموبوء لا تُطاق، ولا يمكن التعايش معها بسبب العنف.

2. العنف: مفهومه: العنف ظاهرة إنسانية تشتغل عندما يحضر الخصم المختلف والمعارض، وهو إجبار أو إكراه الآخر لثنيه على القيام بفعل ما أو منعه منه بالقوة، "فالعنف سلوك جسدي أو معنوي، ذو طابع فردي أو جماعي، يُنزله الإنسان بالإنسان".¹، والعنف يمارس على ضحية "خصم" فمنها من تمتلك القدرة على تحمّل وامتصاص فعل العنف، وأخرى تفتقد إلى الاستعداد في استقبال وتحمل هذا الفعل وبما تحمله طبيعة العنف من قسوة أدت إلى ظهور أنواع كثيرة منها التباين الطائفي* الذي ينبني على صراع الأفكار التي ينتجها اختلاف زوايا الرؤية إلى مختلف القضايا الفكرية والإنسانية، فالعنف في طابعه الفكري يمثل "المنبع الذي تنبثق منه مختلف أنواع العنف الأخرى، المادية والمعنوية، يسير فيه الفرد إلى أهدافه المرسوم لها دون توقّف معتمداً مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة"²، وهذا الصراع الفكري الناتج عن اختلاف الأفكار، لا ريب أن تكون من أسبابه تلك "الصراعات الخارجية من اختلاف الحضارات والثقافات الداخلية التي تحدث بين الأحزاب السياسية؛ ممّا يؤدي إلى ظهور عنف فكري لدى الطرفين لوصول كل منهما إلى غاياته"³، وقد نجد كذلك في كثير من المرات نقص الوعي الديني، الذي يتسبّب في غرس اعتقاد وهمي بأنّ كلا الطرفين يمتلكان الحقيقة المطلقة؛ ليصبح الدفاع عنها وفرضها على الآخر "الخصم" فضيلة، وهذا الإصرار على فرض الرأي هو الذي يولّد صراعا قد يصل إلى حد التناحر والاقْتتال، وظهور التطرّف والعنف الفكري الناتج عن سوء الفهم للنص الديني؛ من خلال انحراف التأويل عن ظاهر النص، والتطرّف ظاهرة شائعة في كل الأديان تنشأ عنها عقليات صدامية تكفيرية ضيقة، تلغي الآخر وتسفّه أفكاره⁴، كل هذا الصدام يؤدي إلى ظهور أطراف ترتبط فيما بينها بعلاقة تنافر تبعث على خلق مناخ تسوده الرغبة في إزاحة الآخر للاستلاء على المكانة أو المنصب، ومرجع ذلك "سوء الفهم

بينها إما لحالة السفه الفكري والنظرة السطحية للأمور أو افتقاد الرؤية المتكاملة الشمولية عن الدين ودوره في الحياة⁵.

يظهر من خلال المفاهيم السابقة عن العنف، أنها تشترك في تلك الصراعات المختلفة، التي منشؤها التباين الفكري والمعرفي والموصول بالتفاوت الزمني الذي يحدث تغييرا في التركيبات الاجتماعية وما يحكمها من أنظمة وعادات تؤطر طرق التفكير، التي تتأسس عليها طبيعة الإدراك وتحديد الرؤى واكتساب المفاهيم متجاوزين بذلك معالم النصوص الدينية المرتبطة بحرية الرأي واختلافها من شخص لآخر، وكذا طبيعة اختلاف الأديان وهو ما يؤدي أحيانا إلى ظهور انقسامات في التوجهات الاجتماعية والسياسية والدينية.

يصدر عن ذلك فتنة تؤدي إلى العنف" وليس من الضروري أن ترتبط الفتن الطائفية بالدين فهناك فتن طائفية بسبب الاختلافات السياسية (مثل الصراعات التي كانت بين الشيوعيين والقوميين في الصين... وتضمن الأسباب المؤدية للفتنة الطائفية صراعات القوى، المناخ السياسي، الاجتماعي، الثقافي، والظروف الاقتصادية⁶

وما يلاحظ، أن الاختلاف في الرأي لا يعني بالضرورة عنفا وإنما التعصب لفرض الرأي الواحد هو الذي يقوي الاحتمال لتوليد الرغبة في صناعة العنف وممارسته على الخصم المعارض وهو ما يتسبب في استفزازات قوية وذلك لفرض السيطرة لتتنامى فكرة العنف التي تساعد على تثبيت الحكم وكسب المناظرة على سبيل المثال، والذي تدخل فيه أمور عدة مثل: كراهية الانهزام أو حب السيطرة ومنه إلى صدامات بين الطرفين المتخاصمين.

إنّ الروايات التي تناولت مشاهد العنف في المجتمع الجزائري المعاصر أسهمت في "إغناء هذا المشهد الروائي الجزائري في التسعينات من القرن العشرين و مطلع الألفية الثالثة إلى جانب الجيل المؤسس في السبعينات والجيل المجدد في الثمانينات، جيل جديد من كتّاب الرواية الشبان ... تجسّد أفقا واعدة للرواية العربية الجزائرية ونمّثل لها بتجارب *عز الدين جلاوي⁷، ففي رواية "العشق المقدس"، التي استدعى فيها تاريخ الدولة الرستمية، ليس لإعادة عرض الأحداث و إنما ليدعو القارئ لاستحضار

تلك المشاهد، حتى يقوده إلى إجراء مقارنة بين الماضي والحاضر، كي يتبين له - من خلال ذلك - أن الأحداث القديمة وكأَنَّها قد بُعثت من جديد، وأن الزمن يعيد نفسه في ثوب حدائي جديد، فالصراع يمرّ بفترة يخدم فيها إلى أن تحضر الفرصة الملائمة التي تهيئ له الظهور من جديد.

3. العلاقة الزمكانية بالحدث "العنف": يعدّ الزمان والمكان عنصرين مهمّين في بناء أحداث الرواية، فالمكان في الرواية يؤطّر الأحداث التي تشتغل داخل المحيط الزمني الذي بدوره يتحكم في الأحداث ويؤثر عليها ويفرض قانونه عليها؛ فزمن القصة هو زمن الحدث نفسه، كما حدثت أو كما يمكن أن تحدث في الواقع.

1.3: الزمن والعنف: تعقد تقنية الزمن في الرواية منبهات ذهنية تُسعف المتلقي في اكتشاف نسق العلاقة بين التاريخ والمتخيل، أو العلاقة بين الماضي المثقل بالانكسار، والحاضر الممتلئ بالتحديات والإشكاليات الأخلاقية والفكرية التي تضغط على الإنسان، وذلك أن تداخل الزمن يجعل من الماضي حاضرا يضاعف قدرة المتلقي على اعتبار أن للمشهد الراهن مخرجات لمدخلات تاريخية موعلة في القدم؛ وعليه حفلت الرواية بأشكال زمنية، وخاصة الاسترجاع، الذي يمنح الذاكرة قدرة لاستحضار حدث ماض وربطه بحدث معاصر، والقفز الزمني الذي يتجلى حينما يشير السارد إلى أحداث تقع في المستقبل؛ بهدف تهيئة القارئ إلى مشاهد مفصلية في الحدث الروائي؛ واللافت أن الحدث الذي يُعرض بوساطة القفز الزمني يشكل مفارقة مذهلة، وكسرا للمألوف، يؤدي إلى شعور المتلقي بالخيبة، نحو قول العاشق لحبيبته هبة: "وأخيرا سنتزوج، سنقيم عرسا، بهيجا يحضره كل أحببتنا هنا في العاصمة، ومن خارجها، سيكون بيتنا عشا للمحبة والأمان، سننجب أولادا"⁸، وحينما يدرك المتلقي مصير العاشقين بسبب انحراف الخطاب الثقافي يُصاب بالخيبة؛ كما يأخذنا الروائي من خلال العاشقين لنعيش معهما كلّ فصول المغامرة دون أن نشعر بالزمن قائلا: "كلّ الأزمنة صارت عندنا متشابهة، بطعم واحد، بلون واحد، برائحة واحدة، نلتمسها معا فلا نفرق بينها، الماضي هو المستقبل، وهما الحاضر"⁹ ومن فصول الخوف والعنف إلى مشاعر العشق والسعادة وذلك في قوله: "كانت حالتنا بائسة على ملامحنا يعرش إرهاب وتعب وخوف ولم يستطع فرج النجاة أن يمحوها، لم

أكن أحتاج الآن إلى أكثر من حمّام دافئ..¹⁰؛ ولهذا فإنّ الزمن وسيلة للكشف عن النص المسكوت عنه في مواضع كثيرة.

كما تعرض الرواية-في مدخلها-مشهدا يختلط فيه الزمان بالمكان من خلال العاشقين "هبة" و"العاشق" "عمّار" اللذين صادفا في البداية مكانا فسيحا ينبض بالحياة؛ ولم يلبثا إلا قليلا فإذا بهما ينصدمان برؤية فتنة طائفية يحذر منها الأمير "عبد الرحمن بن رستم" قائلا: "ما بال قوم يستكثرون علينا حارسا يحميننا في زمن اشتدّت فيه الفتنة حتى ليكاد الواحد ممّا يخرج يده فلا يراها، ألم نقيض للأمة جميعا. من يحرسها ويشيع الأمن والطمأنينة بين جناباتها"¹¹، ومنه فإنّ ظاهرة العنف التي تذكّيها نار الفتنة في مستهلّ هذا المقطع، هي نار يسترها الرماد؛ وكأنّها تنهّياً للالتهاب من جديد؛ إذ يقول كذلك السارد في الرواية: "لعل أحدكم يغمز في غيبتنا ويقول ما بال هؤلاء حادوا عن سنّة رسول الله وصاحبيه أبي بكر وعمر فوالله العظيم ما يسرنا ذلك ولو ملكنا كنوز سليمان بن داود وصناديق قارون التي تتوء بحملها العصابة من أولي القوّة من الإنس والجنّ... قضينا من أعمارنا بين تعلم لكتاب الله وسنّة رسوله وجهاد في سبيله ونسأل الله تعالى أن نلقاه مخلصين له الدين"¹²؛ يظهر من خلال القول ذلك الانقسام المتوارث؛ للحفاظ على كتاب الله وسنّة رسوله الكريم؛ فالظرف الحالي الذي تعيشه الجزائر يراه الكاتب ممثلا لظاهرة العنف في الدولة الرستمية في ذلك الزمن. وهو يلفت انتباه القارئ إلى تاريخ الدولة الرستمية ويعيد بعثه في قالب روائي جديد؛ لأنّ الرواية في العصر الحديث قد استولت على المكانة التي كان يحتلّها الشعر؛ لتصبح هي ديوان المجتمع وأنها أقدر الأجناس الأدبية على التعبير عن قضايا المعاصرة التي استخلفت مكانة الشعر في رصد حركية المجتمعات.

قام الكاتب في رواية "العشق المقدس" بإجلاء الأسباب التي بإمكانها أن تؤدي إلى هذا العنف في المجتمع الجزائري، وهو ما يقتضي تشريح البنية العميقة للأسباب الممتدة في التاريخ؛ إذ أن تجليات الحاضر تتجم عن إشعاع فكري غير مرئي سببه تراكم الأحداث الماضية عبر الزمن، وهو ما سمح للروائي بربط المشاهد الاجتماعية والسياسية بأحداث التاريخ العربي المثقل بالحروب التي تفرزها الخلافات السياسية

والافتتال الطائفي والصراع الطبقي؛ ليعزز مبدأ التعالق بين مشهد الأحداث في
الجزائر ومسرح الأحداث في مسيرة الحياة العربية والإسلامية يقول السارد:
"مدّت هبة ذراعها فوقى وقالت:

-هل أنت نائم؟

-أجبت دون أن أفتح عيني كنت في مكة.

-حتى أنت أسرى بك؟..

ورحت أعيد عليها الكابوس، وأنا ألعن التاريخ الذي لم يركم على عقولنا إلاّ
المآسي، هل يمكن أن يبقى فيها مكان للحلم وكل أفراحنا وأفراحنا وكل آمالنا وخيائتنا
دم؟... ما هذه العواصف الآتية من عمق التاريخ المحمّلة غبارا وعفونة، المتراكمة
على جفون العقل؟ وكدت أصرخ، وأنا أحسّ بالاختناق، كدت أستم حراس التاريخ
الملاعين الذين لم يفعلوا شيئا سوى أنهم أوغلوا في استغائنا¹³.

يرتبط هذا المشهد التاريخي بالمشهد الآتي الذي تعرضه الرواية؛ فهما يتقاطعان في
ظرف مكاني واحد وفي زمن قد تغير، غير أنّ سلسلة الخييات ما تزال باقية من
خلال تراكماتها المحمّلة بكل أنواع الأسى والأفكار الساذجة التي كبّلت الذهنيات
وجمّدت لدى المجتمعات العربية حركية التفكير.

يدعو الروائي للعودة إلى التاريخ المحمّل بالفتن من أجل معاينة الواقع الراهن النازف
بالباطنية والمذهبية*، حيث تحفل الرواية بمشاهد العنف والرعب وشيوع ظاهرة
التكفير، يقول النص:

" الطريق خطر جدا على حياتكما لن يتوان المارق بن المارق بن الزانية عن قتلكما
ظلما وجورا، قضى رجاله عشرين سنة في الجبال يبيحون دم الجميع، ويكفرون
الجميع من ليس معهم فهو ضدهم وقتله عندهم عبادة"¹⁴؛ هذا العنف أسهم في تهديد
السلم الاجتماعي، وأدّى إلى سفك الدماء. يقول السارد: "كانت هبة ترسم لي شكل
البيت الذي تسعى لإقامته في حضن الطبيعة وتصور لي حياتها التي تحلم بها بعيدا
عن صراع الجميع، حياة بساطة ولكنها حياة كفاح أيضا وحياة محبة وإخلاص ولم
أكن أجيب لكّني كنت أخلق معها فيما تحلم، لم يمض بنا الوقت إلا قليلا حتّى حلّقت
فوق رؤوسنا طائرات هيلوكبتر ترتفع ثم تنزل حتّى تكاد تلامس سقف السيارة..كنت

أنتظر أن تصلنا زخّات من رصاص، تخرق سقف السيّارة وتمزّق جسدنا كنت أفكر أن ألجأ بها لأيّ مكان يحقق حمايتنا.. ثم راحت تعدّ جلبابها الأسود، ثم قالت بغضب:

-عدنا إلى زمن الحريم"¹⁵.

إن ظاهرة التكفير والتخوين ليست وليدة زمنها أيضا، بل هي امتداد طبيعي لظاهرة فكرية مماثلة تكمن في متون الكتب التراثية التي تتخذ صبغة دينية تبيح التكفير والتخوين والزندقة، وخاصة تلك المصنفات التراثية المختصة بالفتاوى الدينية التي لا تستند إلى أساس عقائدي، بل هي اجتهادات شخصية مرهونة بثقافة عصرها، ومرتبطة بمواصفات الأحداث السياسية والأزمات الطائفية في حينها، ولكن أتباع تيار التراث الديني يرون فيها مرجعية عقائدية، ونبراسا للحقيقة المطلقة، ومنهجا وحيدا لتصحيح مسار الأزمات الراهنة، ويعتبرون كل من يخالفهم في الرأي خارجا عن العقيدة، وجب قتله. ناهيك عن مصنفات الفتاوى التي تقتصر إلى مرجعية عقائدية فالروائي يدعو -من خلال النص- إلى غريال يفرز فيما بين الحقيقة العقائدية والرؤى الشخصية؛ التي تتوشح بعباءة التقديس وتحريم معارضتها وتجريم تجاوزها، وتكفير وإقصاء الرأي المقابل لها، ويمكن للمتلقي أن يؤسس وفق الغريال الثقافي رؤى فكرية تعي الموروث وتُبصر الواقع الحاضر وتستشرف سبلا للخلاص من دهاليز الظلام الفكري إلى نور الحقيقة، ورحاب الخلاص والتحرر من مخاطر الموروث الفكري.

تأسيسا على ما سلف لا غرابة أن يتخذ الروائي من تاريخ الدولة الرستمية فضاء سرديا لتوصيف المشهد الجزائري في أبعاده الأيديولوجية والاجتماعية، والامتداد التاريخي بين ماهية الأحداث الراهنة؛ فالأسماء "الهليكوبتر" و"السيارة" و"الشرطة" ميّزت فيما بين الطرفين الزمنيين؛ الزمن الرستمي وحاضر الأحداث في الجزائر حيث تبقى إرادة الروائي مرهونة بقدرة المتلقي على تجاوز سطح النص التاريخي الذي يقتضي معرفة أبرز الأحداث التاريخية في زمن الدولة الرستمية، تلك الأحداث التي تطرح إشكالية توريث الحكم التي ما زالت تصنع المشاهد السياسية في عدد من الدول، إذ ورث الحكم عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية؛

فالرواية تُضمّن دعوة إلى إلغاء توريث الحكم، وتشجيع الحكم الديمقراطي يقول السارد:

"اظطرب الناس من جديد وارتفع لغطهم، صاح بعضهم
-رضينا بعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.
صاح آخرون كأنما يردون عليهم.

-لا نريدها مملكة، لا نريدها ملكا عضوضا والله ما فسدت بلاد الإسلام إلا حين
تأمر علينا بنو أمية وبنو العباس"¹⁶، كما قد يجد المتلقي مسارا آخر مختلفا تماما إذا
ربط حادثة فرار مؤسس الدولة الرستمية من القيروان بسبب ملاحقة الأغالبة
العباسيين، ويشير هذا المسار إلى الملاحقة السياسية في العصر الحاضر، وربما
يجد المتلقي مسارا آخر في الربط بين تحالف ابن مؤسس الدولة الرستمية مع
الأمويين في الأندلس ونسق التحالفات السياسية المعاصرة القائمة على المنفعة
وتثبيت كرسي الحكم.

2.3: لمكان: حاضنة للعنف: يحضر المكان مثله مثل الشخصيات التي

تعاني من فعل العنف وهو يحمل أبعادا ذات خلفيات تاريخية يصنع منها السرد
مشاهد مشتركة للعنف في هذه الرواية ولذلك "اهتمت الرواية بالمكان حيث يمثل
عنصرا مهما جدا فيها، والمعروف أن المكان الروائي هو المكان اللفظي المتخيل؛ أي
أنّ المكان الذي صنعته اللغة انصياغاً لأغراض التخيل الروائي وحاجاته، تبعاً
لرسمه صورة بصرية تجعل إدراك المكان بوساطة اللغة ممكناً، فإن هذا الوصف
مجرد تمهيد لاختراق شخصيات المكان بوجهات نظرها الخاصة، ومحاولتها بناء
فضاء روائي يضبط إيقاع الأمكنة الروائية التي اخترقتها الشخصيات وتفاعلت
معه"¹⁷ فالمكان هو الحيز الذي تجري فيه أحداث الرواية وهو شديد الارتباط
بالشخصيات الروائية لأنها تتحرك فيه، يبحث المؤلف عن صلة ما فيما بين
الشخصية والحدث في علاقة جدلية تجعل التأثير متبادلا فيما بينهما وكأن المكان
يمتلك تلك القوة السحرية التي توجّه حركات الشخصية إلى ارتكاب فعل ما، كما يرتدّ
ذلك التأثير من الشخصية التي تصبح هي الأخرى عامل تأثير في طبيعة المكان
وظروفه، أي "أنّ مكان الكراهية والصراع لا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات

الملتزمة انفعاليا والصور الكابوسية¹⁸ كما لا يمكن للمكان "الحضور معزولا عن باقي مكونات النص الروائي، الشخصيات، والزمن، والأحداث، وليس بإمكان القارئ إدراك البعد الدلالي للمكان بعيدا عنها"¹⁹؛ لأن المكان مصدر إشعاع دلالي، يعتمد المؤلف كي يرشد القارئ إلى كيفية التعامل مع الشخصيات في علاقتها بالمكان. "فهناك أمكنة مميزة ترتبط بطفرات حضارية، لهذا طالما وجدنا هذه الفضاءات تجتذب المتخيل الإبداعي، وبصير الانتماء إليها انتسابا إلى فضاء المغامرة الإبداعية والمغامرة تمارس عنفا بطبيعتها، من المفترض أن يضحي التعبير عنها عنيفا، إنه التبرير الثقافي الوحيد لميلاد سيرة الفضاء أو صورته-بما هي نوع أدبي يخرج من صلب التخيل الروائي المعاصر، معبرا عن إحدى أكثر مراحل المجتمع العربي الحديث تعقيدا وتأزما"²⁰، فالمكان - في الرواية - في استعراضه لتاريخ الدولة الرسمية يشكل ثراء متنوعا، نحو الأحداث التي شهدتها مكتبة المعصومة، التي كانت مقصدا لطالبي العلم.

إن المكان-في النص -معلم جغرافي محمل بدلالات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية يفرزها التفاعل بين النصوص الغائبة من خلال حضورها ضمن النص المستقبل. وقد أشارت الأحداث إلى الفتن والصراعات الطائفية بين السنة والشيعية وكذا فيما بين الوهابيين والإباضيين وغيرهم من الطوائف التي ساعدت على زرع ظاهرة الخلاف في الدولة الرسمية، يقول السارد على لسان العاشق "عمار":

"ما أروع أن نكون على طبيعتنا! كنا نستحم فوق الصخور المحيطة بالنبع، كنت أحس أنني أتحوّل إلى مخلوق آخر، أنني أبعث خلقا آخر، كنت أحس بكل ما مرّ بي يتناثر مع حبات الماء العذبة، ويجري بعيدا في أغوار الأرض صارت هبة أمامي بدرا دريا يمنح الحياة ضياء وسكينة"²¹

هذا المشهد، يقدّم صورة لظرف زمني، كان فيه "عمار العاشق" يسبح في جوّ يملؤه الهدوء والسكينة، أضفى عليه المكان مسحة من الجمال الساحر وبدل أن يحتفظ المرء بالظرف الذي جذب له تلك الطمأنينة والاستمتاع بالمظاهر الطبيعية التي يعرضها المكان، تغيّر اتجاه الريح الذي سمّ المكان.

يؤكد السارد : "غير أن المدينة الواسعة لم تخل من تجمعات هنا وهناك خاصة أمام المساجد التي تختلف باختلاف المذاهب والطوائف، وظهرت فتاوى راحت تتناقلها الألسنة سريعا وانتشر رجال الشرطة في كل مكان، تحسبا لأي فتنة قد تندلع"²²، إن هذا التخوف من ظهور فتن دليل على وجود عنف يهيئ لإحداث اضطراب في الوضع الاجتماعي والسياسي؛ كما الصراع على الحكم الذي يشير إليه النص: "أنّ الوهابين النواصب قد خرجوا في كل قوتهم لملاقاة الشيعة الروافض شعارهم الأكبر "واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف" .. كلّ من رفض الخروج معهم قتلوه... نجوت أنا من مطاردتهم وأصيب رفيقي برمية سهم. وفاضت روحه إلى خالقها لا أريد شيئا؛ غير طعام وماء أستعين بهما على حمل نفسي ورفيقي سأدفنه بعيدا في عمق الوادي.. علمت أيضا أنّ الشيعة وأنصارهم قد خرجوا لملاقاتهم فموعدهم هذا الوادي...والجميع متفق على تسميته "وادي الموت"²³.

الوادي - في هذا المشهد - أخذ بعدا دلاليا مغايرا لما ذكر في القرآن الكريم قال تعالى على لسان ابراهيم: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" سورة ابراهيم/الآية (37). وقال تعالى: "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى" سورة طه/الآية (12)، وكأن المؤلف فرض انزياحا لدلالة كلمة "الوادي"؛ فإذا كان وادي سيدنا "ابراهيم عليه السلام" غير ذي زرع، فالوادي - هنا - مكان لزرع الموت؛ أي أنّ المكانين يتقاطعان في العقم والفناء والعدم. كما انعكست الدلالة، فتحوّلت من مقدس إلى مدّس في الآية الثانية.

4. خاتمة: عرضت رواية العشق المقدس بعض تمظهرات العنف، وصورت المشاهد التي يمكن أن يعايشها عاشقان في عمر الزهور، كما أنّ الروائي عز الدين جلاوجي في تصويره للعنف من خلال المتخيّل، قد قدّم لنا شخصيات ورقية صنعت الأحداث في الرواية، وبدت كأنّها وقعت أسيرة القانون الذي يفرضه المكان وبقيدته عامل الزمان؛ وكأنّ هذه الشخصيات تداخلت بزمكانية الحدث في النص الروائي؛ فانصهرت الشخصيات بواقع الأحداث لتشكل شبكة ثلاثية الأبعاد؛ الشخصية، الحدث، الزمكان.

يبقى العنف سلوكاً يطبع الشخصية التي تمارسه-كشخصية مهيمنة، متسلطة، وتفعله على الشخصيات الخاضعة المستضعفة التي بدورها تستقبل سلوك العنف، إما بالاستكانة والرضوخ، وإما بردة فعل مستترة، رافضة. فالعنف يرتبط بهذه "الزمكانية" ارتباطاً شبيه سحري؛ ليصبح المكان والزمان، علامة دالة على طبيعة العنف الذي تمارسه الشخصية الفاعلة له؛ فالظلام والأماكن المغلقة والفضاءات الخالية تتحوّل - هي الأخرى - إلى شخصية منتجة للعنف وحاضنة له، بعد أن تكون قد شكّلت وانطبعت في "الذاكرة النفسية" للشخصيات التي عاشت تجربة العنف وعانت منه.

5. قائمة المراجع:

- تأليف فريق من الاختصاصيين، المجتمع والعنف، تر/الأب الياس زحلاوي ، مراجعة الأستاذ أنطون مقديسي، ط3، سنة 1413هـ، 1993م، ص148-149.
- * مصطلح الطائفة: التي تعني التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الأفراد والطائفية التي تعني استخدام التنوع الديني لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية أو ثقافية مثل المحافظة على مصالح ومزايا مكتسبة أو النضال من أجل تحقيق تلك المصالح لزعماء وأبناء طائفة معينة في مواجهة الطوائف الأخرى حيث تصبح الطائفة بهذا المعنى استخدام الدين كوسيلة لتحقيق أهداف دنيوية" ينظر: طيبات لمير، اهتمام الإسلام بظاهرة العنف جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 3مارس 2010م موقع أرنتربوس www.aranthropos.com
- ²- ابتسام بوطي، العنف الفكري وتجلياته في النص الروائي المكتوب باللغة الفرنسية لدى رشيد بوجدر، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث ل.م.د.في الآداب الأجنبية والأدب المقارن، 2017/2018، ص40.
- ³ - ابتسام بوطي، المرجع السابق ، ص40.

4- ينظر طيبات لمير، المرجع السابق. www.aranthropos.com

5 -المرجع نفسه.

6 -https://ar.wikipedia.org/wiki/عنف_طائفي.

*-عز الدين جلاوجي : روائي وناقد وأستاذ للأدب العربي في التعليم العام والجامعي بالجزائر، مؤسس ورئيس لرابطة أهل القلم بولاية سطيف 2001م، نشرت أعماله وحظيت بالكثير من الاهتمام النقدي والدراسات الجامعية في منابر عربية، أجريت له الكثير من الملتقيات الإعلامية، كتب العديد من المسرحيات وقصص الأطفال ومن بين روايات: راس المحنة ، سراق الحلم والفجعية، الفراشات والغيلان، حائط المبكى .. الخ

7- بن جمعة بوشوشة سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار تونس، ط1، 2005م، ص12.

8 -الرواية ص 31.

9 - الرواية ص138.

10 -الرواية ص 67.

11 - عز الدين جلاوجي، رواية العشق المقدس، منشورات المنتهى، ط2، السداسي الأول 2016م، ص 12.

12 - الرواية، ص 10.

13 -الرواية ص 105.

*الطائفية والمذهبية "باعتبار الأولى علاقة تبعية لطائفة دينية من بين طوائف عدة والثانية علاقة تبعية لجماعة مذهبية من ضمن مذاهب عدة في إطار دين بعينه والحقيقة أن التمدد هو تبني عقيدة دينية أو انحياز إلى مدرسة فقهية أو عقيدة في تفسير دين معين" تعريف منقول عن عزمي بشارة، الطائفة والطائفية من اللفظ ودلالاته المبتدلة إلى المصطلح السوسيولوجي التحليلي، مجلة عمران، ع/23، ص8.

14 -الرواية ص 102.

15 -الرواية، ص99.

16 -الرواية ص 58.

17 - سمير روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية، مقاربات نقدية من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م ، ص 73.

- ¹⁸ -غاستون باشلار، جماليات المكان، ت، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط2 ، 1404هـ/ 1984م، ص31
- ¹⁹ -الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة عالم الكتب الحديث 2009 م، أريد الأردن 11، ط1، 1431هـ/ 2009م، ص24-25.
- ²⁰ - شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما منشورات الاختلاف ط1، 1431هـ/ 2010م، ص40-41.
- ²¹ - الرواية ص، 42.
- ²² -الرواية ص، 59.
- ²³ -الرواية ص171-172.